

السيرة - هدي النبي صلى الله عليه وسلم - الدرس (٤٧ - ٤٨) : هديه في حسن الظن بالله.
لفضيّلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٧-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

حسن الظن بالله ثمن الجنة :

أيها الأخوة الكرام: حسن الظن بالله ثمن الجنة، الإنسان ينبغي أن يؤمن بالله، لكن الذي ينبغي أن يفعله أيضاً أن يحسن الظن بالله، فكم من مؤمن بالله، مؤمن بوجوده، لا يحسن الظن به، مؤمن بوجوده، ليس مؤمناً بأسمائه الحسنی، وصفاته الفضلى.

أحياناً الإنسان يجد شخصاً أمامه، يسأل عن اسمه، لا يكتفي بأن يأخذ اسمه، لا يد من أن يعرف حرفته، ثقافته، اختصاصه، أخلاقه.

من لوازم معرفة الرجل أن تعرف أخلاقه، وأن تعرف اختصاصه، وأن تعرف ثقافته، فلذلك الإنسان مطالب أن يعرف الله عز وجل بأسمائه الحسنی، وصفاته الفضلى.



فهناك كلمات يطلقها العامة، هذه الكلمات تدل على جهلهم بالله عز وجل، يقول لك أحدهم: إن الله خلق الناس ليعذبهم، يقول لك: سبحان الله! لا يوجد أحد مرتاحاً؛ الله عز وجل خلق الناس ليرحمهم، خلق الناس ليسعدهم، خلقهم لجنة عرضها السموات والأرض، فالإنسان إذا فهم بعض المعاني التي لا تليق بالله عز وجل يكون قد أساء الظن به، وحسن الظن بالله ثمن الجنة، ثمن دخولك الجنة أن تحسن الظن بالله عز وجل:

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٤]



من ظن أن الله يجبره على المعصية فقد أساء الظن بالله

الذي يظن أن الله أجبره على المعصية، ثم قدر عليه النار إلى أبد الأبد، هذا الإنسان يسيء الظن بالله عز وجل، إذا تكلم هذا الكلام أبعد الخلق عن ربهم، نفرهم منه، أعطى صورة لا تليق بالله عز وجل، أنه خلقهم وقدر عليه المعصية والكفر، ثم أدخله النار إلى أبد الأبد:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

هؤلاء الجبريون وما أكثرهم قد تستمع إلى آلاف الكلمات من قبل المسلمين بمعنى الجبر أن الله عز وجل أجبر الناس على أفعالهم، مع أن الله عز وجل يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية: ٢٨]

ويقول :



الله لا يأمر بالفحشاء

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ١٤٨]

الإنسان إذا آمن أن لهذا الكون خالقاً، ليس هذا هو الإيمان المنجي، لا بد من أن تؤمن بوجود الله، ولا بد من أن تؤمن بكمال الله، ولا بد من أن تؤمن بوحدانية الله، أي الأسماء الحسنى يمكن أن تضغط إلى ثلاث كلمات؛ موجود، واحد، كامل.

على الإنسان ألا يسيء الظن بالله عز وجل :

في درس الجمعة ذكرت أن الإنسان يتقي أسماء الجلال بأسماء الجمال، أسماء الجلال؛ الله عز وجل مهيمن، والله عز وجل قهار، الله عز وجل جبار، منتقم، هذه أسماء الجلال. والإنسان أحياناً حينما يرى ظالماً استشرى ظلمه، ثم ينتقم الله منه، يشعر براحة ما بعدها راحة، هذا الانتقام هو عين الكمال.

فالإِنسان لماذا يستقيم على أمر الله؟ يتقي أسماء الجلال، ويرجو أسماء الجمال؛ الله رحيم، الله عز وجل لطيف، الله حكيم، قريب، سميع، مجيب، هذه أسماء الجمال، فلا ملجأ من الله إلا إليه، نفر منه إليه، نتقي أسماء جلاله، ونرجو أسماء جماله.



فالحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يقول الله عز وجل: ((**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي...**))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

لذلك نحن بعلاقاتنا الاجتماعية نسمع قصصاً كثيرة جداً، المشكلة أن معظم هذه القصص نستمع إلى آخر فصل

فيها، فلان مثلاً أنتحر، فلان فلس، فلان مرض، فلان صار معه حادث، آلاف القصص نستمع إلى الفصل الأخير، والفصل الأخير يدعو إلى التساؤل، يدعو إلى الحيرة، يدعو إلى الاستفهام، أما لو أتيت لنا أن نعرف هذه القصص من أول فصل فيها حتى آخر فصل، لوجدنا حكمة ما بعدها حكمة، ورحمة ما بعدها رحمة، وعدلاً ما بعده عدل.

فالإِنسان لئلا يسيء الظن بالله، ولئلا يحمل الناس على أن يسيئوا الظن بالله، لا ينبغي أن يذكر قصة لا يعرف فصلها الأول والأخير، إن عرف فصلها الأول والأخير يعرف أن حكمة الله مطلقة، وعدله مطلق.

المصائب التي يسوقها الله للخلق هي مصائب تربية وعلاج وليست مصائب قسوة وانتقام:

العبرة أنه عليك ألا تكون سبباً ليسيء
إنسان الظن بالله عز وجل، بيّن له
حكمة كل شيء، بيّن له حكمة الأوامر،
بيّن له علة الخلق، بيّن له أن هذه
المصائب التي يسوقها الله عز وجل
للخلق إنما هي مصائب تربية وعلاج
وليست مصائب قسوة وانتقام:



قل للناس أن المصائب هي علاج إلهي وليست انتقاماً وقسوة
((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا
ذَكَرْتِي...))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول:

((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه))

[مسلم عن جابر]

لذلك الناس هناك مقربٌ وهناك مبعد، هناك منفرٌ وهناك محبب، فإذا رويت قصة دون أن تعرف
فصولها، ربما تركت انطباعاً عند هذا الإنسان، أن الله عز وجل قسا عليك، والله عز وجل على
أنه مستقيم حرمه الدنيا، وفلان على أنه فاجر أعطاه الدنيا، فهذا كله يحتاج إلى تعليم، وإلى
تدريس.

الطريق الآمن أن تعرف الله من خلال خلقه :

لذلك الإنسان إذا بدأ بمعرفة الله من خلال خلقه وأسلم له من أن يتعرف إلى الله من خلال
أفعاله، اجعل معرفة الله من خلال أفعاله، في المرحلة الثالثة اعرف الله من قرآنه، من كلامه،
اعرف الله من خلقه، إن عرفت الله من خلقه، ومن كلامه، يمكنك أن تعرف الله من أفعاله، عندك
الإمكانية أن تفسر أفعاله، أما أن تبدأ بأفعاله فقد تجد مجاعات، قد تجد شعوباً مقهورة، وشعوباً
ظالمة، قد تجد مصائب كبيرة جداً؛ من زلازل، من فيضانات، من براكين، من إتلاف محاصيل.



هناك قصص من دون تحليل كثيرة
جداً، هذه إن رويتها دون أن تتعلمها
تكون قد أسأت الظن بالله عز وجل.
العبرة أن يمشي الإنسان في الطريق

هدية في حسن الظن بالله.

اعرف الله من كلامه، من قرآنه

الآمن، تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا، تمشي في الطريق الآمن، أن تعرف الله من خلال خلقه:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٩٠-١٩١]

الطريق الثاني:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[سورة محمد الآية: ٢٤]

من عرف الله عليه تنفيذ أمره :

الآن بعد أن عرفت الله من خلال خلقه، ورأيت الكمال المطلق، ورأيت الإعجاز، ورأيت الحكمة، ومن خلال قرآنه، ورأيت حكمة هذا القرآن، لك أن تنفذ أمره تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ١١]

أذكر مرة زرت قريباً لي في العيد، فحدثني عن شخص تزوج على كبر زوجة ثانية، وأحبها حباً جماً، واستجاب لرغبتها، فتنازل لها عن بناء يملكه في المهاجرين، بناء من ثلاثة طوابق، بعد أن تنازل لها عن هذا البناء، هي تحب غيره، طردته من البيت، وتزوجت من الذي تحبه. قال لي: مصيبة أن الإنسان فجأة فقد



كل شيء - قصة لا أذكر تفصيلاتها - قلت له: هذه القصة لا بد لها من فصل لا تعرفه أنت، قال لي: كيف؟ قلت له: هكذا بهذه البساطة إنسان في سن متقدمة، له مكانة اجتماعية، امرأة بسيطة، صغيرة، تضحك عليه، وتجعله خارج المنزل!! ثم انتبه فجأة، قال لي: والله الآن تذكرت، هذا ورث ورثاً كبيراً من والده، و له خمس أخوات، هو أحدهم، فأخذ المال كله وحده، فكان هذا الفصل الأخير عقاباً عادلاً من الله عز وجل على اغتصاب أموال أخواته.

الآن مثلاً أحياناً تقع جريمة ليست جريمة إذا المجرم لم يلق القبض عليه يصير هناك قلق، أما حينما تقرأ عن جريمة عن عمل عملاً سيئاً ثم ألقى القبض عليه، وسبق للمحاكمة، تجد عدالة، وهذا شيء مريح.

على الإنسان ألا يحمل فكرة غير صحيحة عن الله عز وجل :



العبرة أن الإنسان لا يحمل فكرة غير صحيحة عن الله عز وجل، لا يتحدث حديثاً يكون سبب تنفير الناس من الله عز وجل، أو سبب بعدهم عنه، وهناك قصص كثيرة، و تفسيرات. أي:

((إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل النار))

[رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود]

الحديث من دون تفسير صعب جداً؛ هذا يحتاج إلى تفسير، هذا ليس من أهل الجنة، إنه يعمل بعمل أهل الجنة، هذا منافق، هو يعيش في مجتمع مسلم من أجل تحقيق مصالحه فعل هذا العمل. الناس يفهمونه فهماً آخر: أن الله عز وجل يجعل الشخص يطيعه كل حياته، ثم يزحلقه زحلقة فيضعه في النار، هذا مستحيل:

﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾

[سورة سبأ الآية: ١٧]

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾

[سورة فصلت الآية: ٤٦]

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

[سورة الزلزلة الآية: ٧-٨]

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾

[سورة الأنبياء الآية: ٤٧]

آيات كثيرة جداً تدل على حكمة الله المطلقة، وعلى عدله المطلق، ورحمته المطلقة.

على الإنسان الابتعاد عن الكلام الذي لا يعرف مؤداه :

أنا قصدي من هذا الدرس محور واحد أن الإنسان لا يتكلم كلاماً يعطي الآخرين انطباعاً أن الله ليس حكيماً، ليس عادلاً، خلقنا ليعتدنا، خلقنا ليعذبنا، القضاء والقدر منته، أي الله عز وجل قدر على الكفار الكفر، وقدر عليهم المعاصي، وقدر عليهم دخول النار إلى أبد الأبد، من دون اختيار منهم. الله عز وجل قال:

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٨٦]

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

[سورة الإنسان الآية: ٣]

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: ١٤٨]

فأنا قصدي إياك أن تقول كلمة لا تعلم مؤداها.

علامة المؤمن أنه يسأل :

القرآن الكريم ذكر المعاصي في القرآن بشكل تصاعدي؛ ذكر الفحشاء والمنكر، والإثم والعدوان، والشرك والكفر، أما أعلى معصية جاءت في قمة هذه المعاصي، فهي:

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية: ٣٣]

قال:

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾

[سورة الفرقان الآية: ٥٩]

وقال:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل الآية: ٤٣]

أهل الذكر؛ في أي موضوع بالدنيا
اسأل أهل الذكر، الذي يذكرون الحقيقة،
أما في أمور معرفة الله، فقال:

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾

[سورة الفرقان الآية: ٥٩]



اسألوا أهل الذكر فهم يدلون على الحقيقة

أما أن تقول بما لا تعلم، أن تحدث بما لا تعرف، فهذا ينطبق عليه قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي...))

[متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

و:

((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه))

[مسلم عن جابر]

والحمد لله رب العالمين